منهم سيبيع البضاعة التى استوردها بخمسة أضعاف ثمنها أو أكثر، ولهذا فإن الإكرامات التى تقدم لرجال الجمارك زادت زيادة كبيرة، ومقاومة الموظف الصغير لم تستطع الثبات أمام العروض الضخمة، وظهر كذلك وسطاء جمارك كأنهم وحوش مفترسون غرفوا غرفا، وقد عرفنا بعضهم لأن أمرهم افتضح وأحالتهم الحكومة إلى التحقيق، ومن أسابيع قليلة قرأت فى الصحف أن الدولة نفذت حكما كان قد صدر على واحد من هؤلاء واستولت على ٦٨ مليونا من الجنيهات من أمواله وأموال أسرته، كان القضاء قد حكم بالتحفظ عليها. وهذا واحد افتضح أمره، فما بالك بالكثيرين الذى لم يفتضح أمرهم؟

وهذه الظاهرة، ظاهرة أصحاب الملايين الذين طفروا من تحت الأرض كأنهم الشياطين أساءت إلى عصر السادات إساءة باللغة، والرجل الذى حرر سيناء لم يكن يتمتع بكفاية إدارية ممتازة، فانتشر أمر أولئك اللصوص وأصبحوا وباء، وكلنا نذكر الأيام السوداء التى كنا نفتح فيها أعيننا على أخبار لصوص فى الصباح ونغلقها على أخبار قطاع طرق فى المساء، وازدحمت مكاتب المدعى الاشتراكى بقضايا أولئك الناس.

وقد ظهرت هذه الظاهرة بشكل واضح جدا فى مدينة بورسعيد التى أنشأت فيها لدولة سوقا حرة، واستولى على هذه السوق الحرة نفر غالبيتهم من لا تحكم تصرفاتهم أية قاعدة أخلاقية أو إنسانية ممن كانوا يشترون الشىء بقرش ويبيعونه بعشرين، وانتشرت ظاهرة الوسطاء والدخلاء حتى أصبح الذهاب إليها والتعامل مع تجارها مغامرة، وأنا شخصيا شهدت ذلك مرة، فقد ذهبت مع بعض المعارف للفرجة على هذه السوق العجيبة، فلما اقتربنا من بورسعيد وجدنا نطاقا من رجال البوليس يضربون حصارا ويفتشون الذاهبين إلى بورسعيد وسياراتهم فى الذهاب